

الفصل الاول

قصص صغيرة

عثمان ريان

كان «م» بك مساعداً لميكدار إحدى مديريات الوجه البحرى . وكنت إذ ذاك معاوناً للإدارة . وتولدت بين نفسيهما مودة وألفة مبعثهما ائتلاف مشربنا فى كراهية الخدمة الحكومية . وأدهشنى مع ملاحظتى اناقته وحسن اختياره للملبسه وعنايته بأثاث منزله وظرف أسماء أولاده جميعاً أن أرى أكبرهم باسم «عثمان ريان» .

أفضيت له مباسطاً بملاحظتى هذه فوجم قليلاً ثم قال اليك قصة هذا الاسم ولو أنك نكأت جرحاً قديماً .

«كنت ملاحظاً للبولىس حديث التخرج والزواج وألحقت بإحدى نقط مديرية أسيوط .

وكان للبلدة عمدة من الأثرياء وله ابن تعلم حتى الكفاءة وأخرجه من المدارس للشمرن على منصب العمودية ، اختلط بى الولد بحكم العمل ، ويظهر أنه رأى زوجتى فراقته لشيطانة وعمل

على إغرائها بكل الوسائل فلم ينجح له إغراء وأخفت المسكينة عن الأمر .

وتوسل بحيلة جهنمية لادخال خادمة في المنزل صديعة له . .
كنت في عنفوان شبابي ممتلئاً غرورا وقوة فجمعت ذات يوم أشقياء
البلدة لإلزامهم وكان على رأسهم « عثمان ريان » هددته فرد بجفاء
أغلظت له القول فجابهني بأشد ورأيت له شارباً يعتز به فوسوس
لى الشيطان أن أحقره وعلى ماأ من اخوانه أمرت الحلاق بقص
شاربه فكان المسكين ينتفض وانتهى به الحال الى البكاء بمرارة
وصاح « والله العظيم يافندى لا بكيك زى ما بكتنى »
ورسم القدر خطواته .

حدد ابن العمدة ليلة علم فيها أننى سأقوم بدورية منتصف
الليل وأوعز الى صنيعته الخادمة بفتح باب المنزل وداهم زوجتى
المسكينة وكانت حاملا وعد ومنى واوعد وأرعد بغير طائل
وكان يهددها بسكين وطال الأخذ والرد وبدأ الجذب والشد
حتى خارت قوى المسكينة وصرخت « آه يا قلة الرجال » .

فى هذه الليلة بالذات كان عثمان ريان قد حدد مواعده
لاقتحام بيتى وقتلى وتسور الحائط مساحا ورأى وسمع !!
ثارت نحوه الصعيد ورجولته فاندفع الى الحجرة صارخا « جوالك

«الرجالة ياست» وأطلق عليه ابن العمدة النار فأصابه وعندها أطلق عليه عثمان مسدسه فأرداه. وأغشى على المسكينة بين منقذها والمجرم. دفن عثمان على نفقتى وبكيتيه ولا زلت أبكيه وهكذا بر بقسمه ميتا.

ومن عندي يذكرنى بمروءة عثمان ريان أعز من ابني عثمان ريان .

جريمة تكشف الستار عنها « حمارة »

عام ١٩٣٢ وكنت معاونا للإدارة بمركز دكرنس مديرية الدقهلية ، وانتدبت ذات صباح لعمل « ترغيب شياخة » بناحية ميت ضافر وبدأت اللجنة عملها الممل تتخلله فجاجين القهوة « وشيشتى » المعهودة وهى موضع سمر أصدقائى تكرر باستمرار لاقتل الملل والسأم الذى يشعر المرء بالغثيان فلا جلس ترتاح إليه ولا عقلية يسرك نقاشها حتى كانت الساعة العاشرة وإذا بحضرة « حلاق الصحة » يتقدم الى قائلا أن هناك شخصا قد توفى ويشتهبه فى وفاته فأمرته بإبلاغ الحادث للمركز ولا نشغال حضرة الأمور ووكيل النيابة فى حادث جنائى آخر فقد انتدبت

لتولى التحقيق .

بمناظرة الجثة وجدت زرقة في الأطراف من علامات الموت أثر التسمم وسألت عن آخر مرة رؤى فيها القتل فذكر أهله انه وجد ملقى على الطريق الذى يصل بلدهم بناحية كفر عبد المؤمن فانتقلت الى المكان الذى ارشدت عنه فاذا به جسر الزرقة . وظهر ان القتل وهو قوى البنية كان لشدة ألمه ينبش الأرض الى عمق كبير ثم سرنا حتى كفر عبد المؤمن .
صدقوا أو لا تصدقوا فما أقرره قد حصل .

عند وصولي منزل عمدة كفر عبد المؤمن وهو رجل شيخ مسن أغلب وقته طريق فراشه طلبت ماء لأشرب فقدم لى ابنه « ابراهيم » كوب الماء وما وقع بمصرى على بصره حتى حلت فى قلبى موجة من الشك والريبة فاذا بها خوف من كوب الماء من يد ابراهيم .

طلبت نائب العمدة فحضر ومعه شيخ الخفراء وانتقلت الى دوار الأول وبدأت تحرياقى فلم تسفر عن نتيجة ولم أصل الى قرينة .

وأثناء تجوالى فى مدخل البلدة تكلمت مع أولاد صغار لا يزيد سن أكبرهم عن التاسعة وهم من المدرسة الالزامية أو

الأولية وأخذت اداعب واتساءل حتى تطرقت بحديثي معهم الى السؤال عن يعرف القتييل فاذا بالله سبحانه وتعالى ينطق صغيرا أنه رآه يركب حمارة لونها « محمر » وذيلها أخضر !!! والله ولا حمار الحكيم !!!

وكما يتشبث الغريق في قشة تمسكت بقول الطفل وطلبت من نائب العمدة ان يرشدني عن حمارة بهذا الوصف فاحضر اربعة اوصافها تقرب منه . ومع كل صاحبها .

واعترف صاحب الحمارة إياها بان حمارته حملت القتييل من منزل دل عليه وباقتحامه وجدنا غرفة على يسار الداخل وعلى احد نوافذها ادوات الشاي وبها بقايا ... ودلل صاحب الحمارة على براءته بانه إنما اطاع امر من يخشى مخالفته !! اتدرون من هو ؟ ! انه امر ابن العمدة ابراهيم وتم القبض على ابراهيم وعلى صاحب الحمارة واتخذت الاجراءات المعتادة من قص اظافر وجيوب . وظهر من التحليل ان اظافر السيد ابراهيم بها آثار زرينخ وهو ما اثبت التحليل ان القتييل توفي من جراء تعاطيه .

واتضح ان ابراهيم مستعملا سلطان ابيه العمدة الطريح قد ترأس عصاية للفساد احد افرادها القتييل وانهما اختلفا فأطلق القتييل النار من يومين على ابراهيم ثم التقى به في اليوم التالي

وذكر له انه هو الذى اطلق عليه العيار النارى ولو شاء لقتله غير
بانه جعل الطلق تذكرة وارهابا فخشي ابراهيم على حياته ودبر له
مادبر وظهر ان عصابة ابراهيم كانت تعبت فى الناحية وماجاورها
فساداً وان العمدة كان « يبلع » اكثر الحوادث .

ولولا عناية الله ولطفه لاندثرت معالم الجريمة وظل ابراهيم
فى غيبه واعتقد انه استوفى عقابه وكان خمسة عشرة عاماً .. ولعل
ابراهيم يكره ذكر الحماره حتى الساعة .

فتاة الوراق

فى عام ١٩٢٩ وكنت إذ ذاك معاونا للإدارة بمركز امبابه
ولما يمض على فيه غير ثلاثة ايام استدعانى حضره المأمور حمدى
بك مرتضى وناولنى إشارة تليفونية مفادها ان بنتا ماتت اثر
سقوطها من اعلى منزلها بوراق الحضر إحدى اعمال مركز امبابه
وتبعد عنه بحوالى كيلومترين وان الوفاة طبيعية وكفى حضرته
بالانتقال لاهمية الحادث ولاكن لا تعرف بلاد المركز التابعة
لى . ولتفاهة المسألة انجزت العاجل من عملى وانتقلت فى الساعة
الواحدة تقريبا الى الوراق حيث قابلنى عند مدخل البلدة نائب

العمدة «زكى افندى الطويل» وهو رجل على قلة تعليمه ذكى أريب . سأله عن الحادث فأجابني اجابة غامضة فاستفسرت منه عن البنات فقال إنها تبلغ العشرين وهنا استغربت سقوطها على هذا النحو الذى ورد بالإشارة وسأله عن بعض التفاصيل فقال انها كانت تشاهد حفلا مجاورا وان الحادث حصل حوالى منتصف الليل وكان هذا الحديث أثناء توجهنا الى منزل القتيلة وهو يقع فى آخر درب ضيق على اليسار .

دخلت منزل القتيلة فوجدتها وقد فرش لها فراش فى غرفة على يسار الداخل ... وكشفت عن وجهها الغطاء فلم أجد بالوجه ولا بالجسم دماء مما يكون عادة عند السقوط من علو فلم أتكلم وطلبت من أهل القتيلة وهم أب وأم وأخ وأخت وزوج أخت ان ارى مكان الحادث فصعدوا بى الى سطح المنزل وهو مربع يطل على اربعة نواح لاحظت ان سراق الحفل الذى زعم اهل الفتاة أنها كانت تطل عليه على اليمين بينما أن المكان الذى سقطت منه على أقصى اليسار حيث واجهة البيت والباب فنزلت ولم أتكلم وعند باب غرفة القتيلة وجدت سيدة بدينة قيل لى عنها انها داية البلد فسألت سؤالا صريحا عن سير البنات وسلوكها وهل هى ثيب أم بكر ؟ فثارت ثائرة الأم وصرخت انها بنت وانه ليس

من حقى أن اسأل هذا...

واللمرة الثانية دخلت غرفة القتيلة وأعدت فحص اطرافها
متسكئا وعندها دخلت الداية الوقورة وقالت لى بلغتها الدارجة
« يستر ولاياك » ووضعت فى جيبى نقودا فمدت يدي الى جيبى
وقلت لها وقد ابرزت الجنيه الذى وضعته فيه ، هذا لا يكفينى
وان شئت أن اكنتم الخبر فاخرجى الى من أعطاك هذا واطلبى
منه مريدا ، فخرجت الى حيث أح القتيلة وعندها امسكت به
قائلا له أنت القتال وسلمته الى شيخ الخفراء .

شئت تعزيزاً لهذه الاستنتاجات المفتقرة الى دليل فرأيت
ان اقرب دليل فى يدي زوج اخى القتيلة وهو الغريب الوحيد
فى المنزل وانتقلت الى منزل العمدة حيث كان يقضى الأجازة
حضرة سيد بك ابراهيم القاضى الآن وكان إذ ذاك وكيل النيابة
وهو اخ العمدة .

وبالحسنى اقنعنا زوج الأخت حيث ادلى بالحقيقة وهى ان
الفتاة عادت ذلك اليوم متأخرة وكان اخوها يتألم من تهرجها
وغياها عن الدار وسألها اين كانت وفى ثورة غضبها قالت له
« كنت ارتكب ما شئت » وجاءت داية البلد فأكدت ان الفتاة
ثيبا بل وحاملا . وهنا حاول اخوها معرفة المعتدى فأدخلها

هو وأهلها غرفة للتبني على سلم المنزل وإثناء عراكهم معها دفعها
أخوها وسقط فوقها فماتت الفتاة من أثر الضغط وعندها عقد
أهلها مجلسا عائليا تفتق ذهنهم أثناؤه عن حيلة القاءها من فوق
سطوح المنزل وادعائهم أنها ماتت وكاد الحادث يمر لولا إرادة
الله وضعف عقلية أولئك الفلاحين .

إذ أن اكتشاف هذه الجريمة مرجعه أن أهلها لو جعلوها
تسقط من الناحية المقابلة لسرادق الحقل في سطح المنزل لما
امكن فهم الحادث وثانيا انهم كانوا يجب أن يسقطوها عقب
القتل فورا حتى تختلط لحما بدم أما سقوطها بعد القتل بساعات
فلم يجعل هناك ما يقرب الى الذهن ففكرة وقوع الحادث حسب
تصورهم .

أما علاقة هذه الجريمة بالمجتمع فهي إنسانية إذ ان أخا القتيلة
ليس مجرما بالفطرة وإنما نبتت في ذهنه فكرة الاجرام وليدة
الشرف والحرص على العرض . وقد كان قضاؤنا العادل محققا
للرحمة في أوسع ظروفها فقد عاقب هذا القاتل بسنتين فقط .

ولا يفوتني أن أذكر أن الداية الوقورة حوكت من أجل تهمة
الرشوة وأنه عند توجهي لأداء الشهادة اعطيتني جنيهين لأحسن
القول في حقها وهي تعتقد أن كل موظف يميل الى الرشوة

ففاكت بذلك حضرة قاضى امبابة وحذرتة من التمادى معها
فى الأسئلة لىكى لا تقدم له هو الآخر رشوة فى الجلسة العلنية
وقد قضى بعقابها مع إيقاف التنفيذ معتبراً أن لها فضلاً فى كشف
الجريمة .

جريمة أب

تزوج امرأة وله بنت يشهد الله أنها جميلة وللراة ابن من
آخر عاش الزوجان ومعهما ولداهما حتى ترعرا معاً .
منزل ريفى به غرفتان يشغل الزوجان إحداهما وينام الفتى
والفتاة فى الأخرى وهكذا النار والحطب فاشتعلت وكانت
النتيجة أن حملت البنت . وعلمت المرأة وخشيت زوجها فأخفت
الجرم وما كان أهون الحل حتى اكتمل الحمل .
وفى غفلة وضعت حملها فى مرحاض المنزل واستدعت شريكها
فى الجرم فذهل الاثنان وحارا كيف المصير ؟
حار ذهن الفتى وهو لم يبلغ من العمر ثمانية عشر عاماً عن جريمة
تمنحس عنها إدراكه المضطرب فقتل الطفل وخرج به ليلقيه فعثر

عليه وهو متلبس بجرمه أحد الخفراء .

وتقدمت الفتاة ومعها شريكها حيث نظرت القضية بدائرة

معادة عبد اللطيف بك محمد دور مايو سنة ١٩٤٥ .

الجريمة في ذاتها وليدة جهل الأب والأم فما كان يحذر بهما

أصلاً أن يخالطاً بين الفتين وان تسامحنا وقلنا حصل ألم يكن من

حسن الفطن أن يتزوج الفتیان ويحل المشكل ؟ فان فاتهما هذا

فكيف فات إدراك الأب ما يدور حوله ؟ وإن قلنا أعشى قلب

فما هو واجب الأم وقد علمت ؟ !

كان من نصيب في المرافعة أن أئدب عن الفتى وترافع زميلي

محمود يوسف عن الفتاة . وقد لاحظت المحكمة بحق هذه الظروف

مجموعة وإن الجريمة بعثت وليدة الاضطراب والذهول وأن

البائسين كفاهما عقاباً من فضيحة وثلم حيث قضت بسجن الفتى

سنة وكان قد قضاها وبرائة البنت .

وأشرت على الرجل والمرأة أن يتزوج الفتى ضحيته

وتم ذلك .

هذه القضية الصغيرة درس وعبرة للآباء والأمهات يستاهمون

منها أن الحيلة خير من العلاج وأن الجمع بين المراهقين من

الجنسين خطورة لا شك واقعة فليتقوا الله وليراقبوا فلذات

أكبادهم خشية سوء المصير ومن البداهة بمكان أن نفهم جميعا أن هذه الجريمة لا تحمل معناها وإنما هو تصرف فجائي أملاه ذهن الفتى المريض ولو عوقب من أجله بأشد مما عوقب به فربما دفعه الحقد نحو المجتمع إلى التخرج من السجن مجرما ضاريا بعد أن كان مجرما بالصدفة .

مزيف النقود بالمالى

من أعمال شعبين السكرم برع فى تزيف النقود والأوراق المالية من ذات العشرة جنهات ينشرها بواسطة أعوانه يشترون بها من الفلاحين مواشيهم .

يقبض الفلاح ثمن « جاموسته » ويخفى المبلغ أيا ما وما أن يظهر على يديه حتى يظهر زيفه فيدل على من اعطاه إياه فان ضبط وحقق معه أرشد الى مزيف «المالى» ينكر هذا فيفتش منزله على غير طائل كان من نصيبى فى المرة التاسعة لحواذته ان كلفت بالتفتيش فانتقلت ومعى قوة من رجال البوليس لمنزله ولعلنى بسبق ذلك كنت يائسا من النتيجة مقدما .

جلست على سطوح المنزل مع زوجة المزيف وأرجوان

لا تحصل الريبة فهي « كبارة » وظلت تسامر وتتظاهر بالبساطة وبأنهم مظالم حتى انتهى التفتيش على غير طائل وهو المنتظر .

فتمت لأخرج وعند نزولي على سلم المنزل وهو من الطين لاحظت وجود عرق من الخشب يبرز من الحائط بشكل يظهر أنه لا لزوم له فاستندت إليه فوجدته « مقملا » وشاهدت الاضطراب يعرف المرأة فجذبتة فأنكشف عن فجوة في الحائط عملنا فيها المعاول حتى ظهر المستور « ادوات التزييف كاملة » .

وهكذا لعبت الصدفة دورها وقضى على المزيف بعقوبته واستراج الفلاحون المساكين من عبثه واذا .

